علي (ع) مظهر العدل الإلهي

المناسبة: صلاة الجمعة العبادية ــ السياسية

الزمان والمكان: 20 ذي الحجة 1421هـ ــ طهران

الحضور: جموع المصلين المؤمنين

أجواء الكلمة

تزيّن هذا العام الهجري الشمسي باسم أمير المؤمنين (ع)، حيث أنجزت خلاله الكثير من الأعمال والنشاطات الفكرية على المستويين الجماهيري والحكومي لمعرفة أبعاد شخصيته (سلام الله عليه)، ما جعلت القلوب والأفئدة مهيّأة أكثر للاقتداء به والاقتراب منه. وهذا ما أشار إليه ولي أمر المسلمين في خطبته الأولى، حيث ركّز سماحته على المفردة الأكثر أهمية وموقعها المتميّز في حياة أمير المؤمنين (ع): أي العدالة، في بُعديها الفردي والاجتماعي.

وفي الخطبة الثانية أشار سماحته إلى المحاولات المشؤومة هذه الأيام للنيل من شخصية نجل الإمام الراحل السيد أحمد الخميني (ره)، وأكّد على وجوب تكريمه وتخليد ذكراه.

ثم تطرّق سماحته إلى محاولات الأعداء وأساليبهم لإيجاد الشرخ في النظام الإسلامي، وسبل التصدّي لها.

العناوين الرئيسية في كلمة قائد الثورة الإسلامية:

الخطبة الأولى:

ــ المعرفة مقدمة للاقتداء بأمير المؤمنين (ع)

ـ علي (ع) مظهر العدل الإلهي

ـ البعد الفردي لعدالة أمير المؤمنين (ع)

ـ وظيفة الولاة في كلام أمير المؤمنين (ع)

ـ البعد الاجتماعي لعدالة أمير المؤمنين (ع)

ـ تكليفنا تطبيق العدالة في المجتمع

الخطبة الثانية:

ـ تكريم السيد أحمد مسؤولية وواجب

ـ الحذر من مؤامرات الأعداء

ـ أساليب العدو لإيجاد الشرخ في النظام الإسلامي

ـ سبل إفشال مؤامرات الأعداء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونستغفره ونتوكّل عليه ونصلّي على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته سيدنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

أوصي جميع الإخوة والأخوات المصلّين ونفسي بتقوى الله والتزام الورع، فالزاد الذي نتزوّد به من حضورنا في صلاة الجمعة يجب أن يكون بالدرجة الأولى الاقتراب من حلّية التقوى, التي هي عبارة: عن المراقبة المستمرة للنفس في القول والفعل، بل وحتى المراودات الذهنية لئلاّ نقارب ما يسخط الرب، سواء بأقوالنا أو أفعالنا أو حتى

على المستوى الفكري أيضاً، سائلاً الباري تعالى أن يعيننا على العمل بتعاليم أنبيائه وأوليائه ببركة هذا التجمّع النوراني لصلاة الجمعة, وببركة هذه الأيام التي يزيّنها إسم مثال التقوى أمير المؤمنين (ع).

سأتحدّث في الخطبة الأولى لهذا اليوم عن أمير المؤمنين (ع) الذي تزيّن هذا العام باسمه، هذا العام الذي توشك أيامه على الانصرام، وبطبيعة الحال فإن الأيام والسنوات بل التاريخ بأسره متعلّق بأمير المؤمنين (ع) وخطّه ومنهجه الوضّاء، وعلى مدى هذا العام أنجزت الكثير من النشاطات الفكرية الخاصة بمعرفة أمير المؤمنين (ع) من قِبَل الموالين له (ع)، وبهذا تكون تسمية هذا العام باسمه (ع) قد جاءت بمحلّها وآتت أكلها المناسب، حيث توجّهت الأفئدة نحو أمير المؤمنين (ع) وحظي بإقبال الجماهير التي أحيت ذكر ذلك الرجل العظيم على مدى العام وفي المحافل والمراكز التي أعدّت لإحياء أمره.

إنه لأمر حسن، بَيْدَ أنّ المهم والذي يحظى بأهمية أكثر من المعرفة والإطلاع بالنسبة لنا هو التقرّب العملي من أمير المؤمنين (ع)، فهو القدوة بالنسبة لنا، فلا تكفي معرفة علي (ع)، بل لابدّ أن تكون المعرفة مقدّمة للاقتراب من مقام أمير المؤمنين (ع)؛ فإذا ما أرادت الحكومة خير الأمة وصلاحها فعليها أن تتخذ من علي بن أبي طالب (ع) قدوة وأسوة لها، حينها سيشعر الناس بالسعادة تغمر حياتهم، سواء في الوقت الراهن أو المستقبل، وإذا ما كان المجتمع يصبو لبلوغ السعادة فإن السبيل العملي لتحقيق ذلك يتمثّل في أن تتخذ الحكومات من حياة أمير المؤمنين وحكومته قدوة لها وتنحو منحاه.

إنّ مزاعم الحكومات الغربية ــ التي تمسك بوسائل الإعلام العالمية ــ وأفعالها المرائية ليست بقادرة على توفير السعادة للبشرية, أو أن تذيق المجتمع طعم العدالة بحقيقتها.

إنّ لمفردة العدالة ومفهومها موقعاً متميّزاً في حياة أمير المؤمنين (ع) وشخصيته، وبالرغم من اجتماع العديد من الخصال فيه (ع)، إلاّ أنّ من أبرزها ــ وهي التي لازمته على الدوام ــ هي العدالة التي تنطوي على مفاهيم متعددة, وتتشعّب إلى شعب شتّى, اجتمعت كلها في وجود أمير المؤمنين (ع)، فهو مظهر العدل الإلهي.

لقد اقتضى العدل ــ الذي نعتبره من أصول الدين ــ أن يختار الله سبحانه شخصاً كأمير المؤمنين (ع) لإمامة الأمة وقيادتها؛ وهذا ما فعله الباري جلّت قدرته؛ فوجود

أمير المؤمنين وشخصيته وتربيته وعظمته وبالتالي تنصيبه للخلافة كلّها مظهر للعدل الإلهي، ولقد تجسّدت العدالة بمعناها الإنساني بأكمل صورها في كيانه (ع).

العدالة في بُعدها الفردي عند أمير المؤمنين

كان (ع) يجسّد العدالة الإنسانية ببعديها الفردي والاجتماعي؛ حيث تجلّت عدالة الإنسان في حدود حياته الفردية، وعدالته في مضمار الحكم والسلطة ــ تلك التي نطلق عليها العدالة الاجتماعية ــ في حياة أمير المؤمنين (ع)، وعلينا أن نعرف ذلك بنية تطبيقه عملياً، لاسيّما بالنسبة لأولئك الذين يتحمّلون المسؤوليات في المجتمع, ويتبوّءون موقعاً في الحكومة، فلقد تمثّلت العدالة الفردية بأعلى درجاتها في شخصية أمير المؤمنين (ع)، وذاك هو ما نعبّر عنه بالتقوى، تلك التقوى التي كان (ع) يجسّدها في عمله السياسي والعسكري وفي توزيعه لبيت المال استفادته من بمواهب الحياة واستثماره لبيت المال، وفي قضائه وجميع شؤونه؛ فالعدالة الفردية والذاتية للمرء تمثّل في واقع الأمر سنداً للعدالة الاجتماعية وصاحبة التأثير في العدالة على صعيد الحياة الاجتماعية.

ليس بمقدور من يفتقد للتقوى في ذاته وفي عمله، وهو رهين أهوائه النفسية وأسير للشيطان، الادّعاء بقدرته على تطبيق العدالة في المجتمع، فذلك محال؛ فمن أراد أن يكون مصدر إشعاع للعدالة في حياة الأمة، فلابد له ــ والحال هذه ــ أن يلتزم التقوى على صعيد نفسه أولاً؛ تلك التقوى التي أشرت لها في مستهلّ الخطبة، والتي تعني المراقبة للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

وهذا لا يعني أنّ الإنسان لن يخطئ، كلا, فلا مفرّ لغير المعصوم من ارتكاب الخطأ، وما هذه المراقبة إلاّ صراط مستقيم, وسبيل للنجاة تنتشل الإنسان من الغرق وتمنحه القوة، والذي لا يمارس الرقابة على نفسه ويعاني من فقدان العدالة والتقوى على صعيد القول والفعل وحياته الشخصية لا قدرة له على أن يكون مصدراً للعدالة الاجتماعية في أوساط المجتمع.

لقد أعطى أمير المؤمنين (ع) درسه الخالد لكل الذين يمارسون دوراً على الصعيد السياسي لمجتمعاتهم، حيث يقول (ع): «مَن نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه

قبل غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»[1]، إذ بإمكان اللسان النطق بكثير من الأشياء، أما ما يأخذ بَيْدَ الإنسانية لسلوك صراط الله فهو سيرة وأفعال من يقع عليه الاختيار ليكون إماماً للناس، سواء على مستوى المجتمع أو أدنى مستوى من ذلك. ثم يقول (ع): «ومعلم نفسه ومؤدبها أحقّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[2].

هذا هو منطق أمير المؤمنين (ع) ودرسه؛ فالحكومة ليست ممارسة للسلطة وحسب، بل هي نفوذ في القلوب واستقرار في العقول، فمن كان في هذا الموقع أو وضع نفسه فيه عليه بادئ ذي بدء أن ينهمك دوماً بتهذيب نفسه وإرشادها ومحاسبتها ووعظها.

من المواصفات التي ذكرها أمير المؤمنين (ع) لمن يتمتع بالأهلية لإمارة الناس, أو تولّي مسؤولية قطاع من شؤونهم ــ وهذا ما يبتدئ من زعامة البلد ويسري إلى ما هو أدنى من الدوائر والمؤسسات، كما يصدق على القاضي أو المتصدّي لدائرة من دوائر هذا الجهاز الوسيع ــ وكان (ع) يوصي ولاته وقادتها بها، نجدها في قوله (ع): «فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به»[3]. من هنا يأتي التلازم بين السلطة والأخلاق في الإسلام، فالسلطة إنما هي ظالمة غاصبة إذا ما خلت من الأخلاق.

يجب أن تكون سبل الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها سبلاً أخلاقية، فلا معنى في الإسلام للتشبّث بأي وسيلة لبلوغ السلطة، وليس ثمّة حق لأي كان ــ فرداً أو فئة ــ في اللجوء لأي سبيل أو وسيلة للإمساك بالسلطة، كما هو شائع في عصرنا هذا في الكثير من بلدان العالم، فالسلطة المتأتّية أو التي تجري المحافظة عليها عن هذا السبيل إنما هي سلطة ظالمة وتفتقد الشرعية.

إنّ للأساليب أهميّتها في الإسلام، شأنها في ذلك شأن القيم، فكما يهتمّ الإسلام كثيراً بالمثل فإن الأساليب تحتل نفس تلك الأهمية، ولابدّ أن تتجسّد هذه المثل عن طريق الأساليب أيضاً.

وإذا ما أردنا لحكومتنا أن تكون إسلامية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة فما علينا إلاّ السير في هذا الطريق دون مواربة، ويجب على المسؤولين في شتّى الحقول ــ بدءاً من

---

[1] نهج البلاغة: 417. الحكمة:70.

[2] نفس المصدر.

[3] نهج البلاغة: 84. الخطبة (86).

رؤساء السلطات الثلاث ومروراً بالمسؤولين من الدرجة الوسطى، كلهم جميعاً ــ أن تنصبّ جهودهم في استثمار السبل الصالحة والأخلاقية لإنجاز المهام الملقاة على عواتقهم وتحقيق أهدافهم، وقد يؤدّي ذلك إلى بعض الإخفاقات والمتاعب في مجال بلوغ الحكم، غير أنه من المؤكّد عدم صواب اللجوء للوسائل غير الأخلاقية من وجهة نظر الإسلام وأمير المؤمنين (ع)، فهذا هو منهج علي (ع) الذي يتعيّن علينا اقتفاؤه.

العدالة في بُعدها الاجتماعي عند أمير المؤمنين

ما تطرّقت إليه كان حول العدالة في إطار الشؤون الشخصية لعلي بن أبي طالب (ع).

أما عدالته (ع) على صعيد المجتمع، أي تطبيقه للعدالة الاجتماعية، فأمير المؤمنين (ع) يمثّل وصفة الإسلام الكاملة؛ إذ كانت حكومته إسلامية 100% وليست 99% أو 99.99%؛ فلم يخرج ما كان يصدر عن أمير المؤمنين (ع) وحدود صلاحياته وسلطته من تحرّك أو قرار عن صبغته الإسلامية؛ أي أنه العدالة المطلقة، وربما حصل في بعض الولايات التابعة لحكومة أمير المؤمنين (ع) أن مورست أعمال تتنافى مع العدالة، بَيْدَ أنه (ع) كمسؤول كان يشعر بتكليفه عندما يواجه مثل هذه الممارسات، فكانت كتبه وتحذيراته وخطبه وحروبه كلّها تصبّ في مجرى تطبيق هذه العدالة.

هذا هو تكليفنا، ولا أريد أن يتبادر إلى الأذهان الوهم بإمكانية أن يصل أمثالنا أو مَن هم أفضل منّا إلى مستوى أمير المؤمنين (ع)، كلا فهو(ع) المثل الأعلى والأنموذج الأصيل، فهو إنما يعد أنموذجاً من أجل أن يتحرّك الجميع باتجاهه، وإلا فإنه (ع) لا يرتقي إليه التشبيه أو مقارنة أحد إليه؛ فأولئك العظام الذين اجتباهم الله تعالى ومنحهم العصمة، سواء كانوا من الأنبياء أو الأئمة الأطهار عليهم السلام، هم نجوم تتلألأ في سماء المُلك والملكوت، وليسوا ممن يستطيع أمثالنا ــ بما هم عليهم من قدرات دانية وقابليات متواضعة ــ مضاهاتهم أو الوصول إليهم؛ إنهم الهداة، والإنسان إنما يتلمّس طريقه بواسطة النجوم.

وعليه فإننا يجب أن نتحرّك بهذا الاتجاه وهو تكليفنا في الوقت الحاضر، ولا يحق لأي من المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية القول: بما أننا لا نمتلك القدرة على العمل بمستوى أمير المؤمنين (ع) فلا تكليف علينا. كلا، فهنالك مراتب شاسعة بين ما

يسعنا القيام به وبين المستوى الذي كان عليه أمير المؤمنين (ع)، وعلينا المضي قُـدُماً وطيّ هذه المراتب ما وسعنا.

هدف الجمهورية الإسلامية تطبيق العدالة

ينبغي أن تظهر العدالة بصورتها الواقعية في المجتمع، وهو ممكن، كما تيسّر للثورة الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية تطبيق أبعاد من العدالة التي كان تطبيقها في إيران في عداد المحالات خلال فترة من الفترات؛ فلقد مرّ على بلدنا زمن كان من المحال على الذين لم يكونوا ذيولاً لأمريكا وبريطانيا أو القوى الفاسدة أو البلاد الفاسد الوصول إلى المراكز السياسية، إذ لم تكن أهمية تذكر لعامة الشعب، ولم يخطر ببال أحد أن يكون له تأثير في سياسة البلد وسلطته دون أن يقع في قبضة هذه المفاسد والتبعية.

أما اليوم فإن كافة أبناء الشعب يرون إمكانية الوصول إلى أرفع المناصب السياسية في النظام إن أرادوا أو توفّرت الشروط اللازمة لذلك.

لقد كانت العدالة الاجتماعية خارج حدود التصوّر في بلدنا يوماً ما، بَيْدَ أنّ جانباً منها قد تحقق الآن.

إذاً إننا قادرون، ومن الممكن عمل الكثير من خلال الاستعانة بهمّة الجماهير.

على المسؤولين أن يشدّوا حزام الهمّة لتطبيق العدالة التي ينشدها الإسلام في كافة الحقول، القضائية منها والاقتصادية وعلى صعيد توزيع مصادر الثروة الوطنية ومختلف المجالات, وكل ما يعد مهماً بالنسبة لأبناء البلد، فيجب أن يكون سلوك كل مسؤول في السلطات الثلاث ــ التنفيذية والقضائية والتشريعية ــ سلوكاً عادلاً وأن يكون هدفه تطبيق العدالة على صعيد الاستفادة من بيت المال، والمنافع الشخصية، والعزل والتنصيب وكل ما يفعله، وإذا ما تحقق ذلك بحيث تصبّ الجهود من أجل تطبيق العدالة في كل مرفق من مرافق هذا البلد وهذا النظام، وكان هنالك من يتابعها، وذاق أبناء الشعب طعمها وتوفّرت للجميع، ولم يبق أثر للإجحاف في جميع مرافق الحياة، يومها سيكون بمقدور الجمهورية الإسلامية أن تطرح نفسها أمام شعوب العالم، وبالذات الشعوب الإسلامية، كأنموذج إسلامي واقعي.

إنّ الشعوب الإسلامية مشدودة اليوم لحاكمية الإسلام، وهذا الانسداد سيتوطّد متى ما تحققت الحاكمية الواقعية للإسلام؛ أي متى ما رأوا تطبيق الحدود الإلهية في المجتمع, وأنّ حقوق الناس تراعى على الوجه الأكمل، وليس هنالك من يمارس الظلم والإجحاف بحق الآخرين؛ بسبب ما يتمتع به من قدرات، وليس ثمّة من يتنصّل عن تطبيق العدالة بحقيقتها بحقّه, لما يتمتع به من منصب أو جاه، وإنّ المخالفة جرم أيّاً كان مرتكبها، وينظر إلى الناس على حدٍّ سواء في ضوء الطبيعة الإنسانية والأخوة الإسلامية، فإذا ما عملنا وفق هذا السياق نكون قد حافظنا على الأمانة الإلهية المودعة بأيدينا، وإلاّ فسيكون الحساب عسيراً أمام أمير المؤمنين (ع) حيث يقول: «اعلم يا رفاعة، إن هذه الإمارة أمانة، فمن جعلها خيانة لعنه الله إلى يوم القيامة»[4].

أللهم إنّا نسألك بمحمد وآل محمد أن تمنّ علينا وكافة المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية بالتوفيق لتطبيق الأحكام الإسلامية.

أللهم إننا إذ نتحدّث باسم علي ونسير بوحي من ذكراه، فاجعلنا في العمل أيضاً من السائرين على نهجه القويم.

أللهم أقم العدل ــ الذي هو وديعة الإسلام وأمير المؤمنين (ع) ــ في ربوع بلادنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

{والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين، سيّما علي أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سبطي نبي الرحمة وسيدي شباب أهل الجنة، وعلى علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى

---

[4] المصدر السابق.

بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبادك وأمناؤك في بلادك، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصي نفسي وجميع الإخوة والأخوات الأعزاء بالتقوى وسلوك سبيلها النيّر المليء بالبركات.

بمناسبة ذكرى رحيل نجل إمامنا العظيم الحاج السيد أحمد الخميني (رضوان الله تعالى عليه) فقد اخترنا أن تكون صلاة الجمعة لهذا اليوم إلى جانب مرقده ومرقد إمامنا العظيم.

إنّ تكريم عزيزنا الراحل هذا يُعدّ مسؤولية وواجباً نتحمله على الدوام، وذلك لسببين: أولهما: أداءً لحق الإمام، والثاني: أداءً لحقّه هو.

أما أداءً لحق الإمام فقد كرّس ذلك الرجل الصبور المثابر المتفاني، بما لهذه الكلمة من معنى، جُلّ عمره لخدمة الإمام وأهدافه، فيما كان الإمام (ره) بدوره يعرف قدر هذا الولد الكفوء؛ فلقد سمعت من الإمام ما لا يقل عن مرّتين أنه قال: إنّ أحمد أعزّ الناس عليّ.

ولم يكن الإمام من أولئك الذين يعبّرون عن مشاعرهم إزاء المقرّبين منهم بدافع العواطف والأحاسيس الشخصية، ولقد نطق بهذه العبارة؛ كي نقولها نحن أيضاً, لا أن نعلم بها وحسب، كما أنّ الإمام أعرب عن ثقته بالسيد أحمد في مناسبات عديدة، ولا أنسى ما صرّح به الإمام أثناء اجتماع مثير ضمّني وآخرين من أنه (ره) يولي ثقة كاملة بالسيد أحمد.

إذاً انه لأمر حسن أن نحيي ذكرى نجل الإمام على الدوام؛ أداءً لحق الإمام.

وأما أداءً لحقّه هو, فلأنه كان ممتحناً فعالاً دؤوباً؛ فلقد كان يمضي في الطريق الذي يرى فيه أنه يمثّل طريق الثورة والإسلام الذي يدعو إليه الإمام (ره) دون محاباة؛ مما أثار عداء الكثيرين ضدّه، وقد كان هذا العداء يأتي تارةً باسم الإسلام وتحت غطاء الحرص وفي إطار عناوين برّاقة، لكنها أضغان شخصية ناجمة عن العُقَد التي تضمرها قلوبهم إزاء هذا العزيز المظلوم؛ وذلك لتصلّبه في المواقف التي كان يتخذها الإمام, وعدم مساومته وخضوعه للآخرين.

إنّ الذين يدخلون السرور إلى قلوب أعداء الإسلام بنَيلهم وإساءتهم للمرحوم السيد أحمد إنما يشعرون بالعقدة من الإمام والثورة؛ فلقد كانوا يحملون العداء الشخصي له؛ بسبب كونه مدافعاً حقيقياً عن الإمام والثورة، سواء في عهد الإمام أو بعد رحيله، حيث دافع عن القيم والمبادئ, وعمل عكس ما كان يتأمّله وينتظره الكثيرون، وبنفسه أظهر عندي مرّتين أو ثلاثاً تَوَجّده من بعض الذين يتوقّعون ويطمحون منه أموراً أخرى.

أللهم إنّا نتوسّل إليك بمحمد وآل محمد أن تنزل رحمتك ومغفرتك ورضوانك على روح السيد أحمد الخميني وروح إمامنا العظيم الذي كان ملهم وجوده وتربيته.

الحذر من مؤامرات الأعداء

الموضوع الذي أرى ضرورة التطرّق إليه في آخر جمعة من هذا العام ــ ونحن على أعتاب العام الجديد ــ هو ما يتعلّق بالقضايا العامة للبلاد؛ فنحن وإن تركّزت وصايانا للشعب على التزام الحيطة والحذر إزاء مؤامرات العدو الشائكة، غير أنّ هذه التوصيات تهمّ في الغالب مَن يتحمّلون المسؤوليات على اختلافها؛ لأن العدو لَمْا لمس اليوم شوكة الجمهورية الإسلامية وتزايد اقتدارها، شدّد وكثّف هجومه ضدّ نظامنا, سالكاً في ذلك عدّة سُبل؛ لعلّه يوجّه ضربته لنظام الجمهورية الإسلامية، وحيث وجد الأعداء عدم جدوى هذه السبل وفقدانها للتأثير فإنهم طالما يعيدون النظر في أساليبهم.

وإنّ الذي أربك العدو هو ما يتميّز به نظامنا من اقتدار نابع من صميم عواطف أبناء الشعب وإرادتهم وإيمانهم، غير أنّ هذا العدو لم يخرج بعد من الساحة، بل لم يزل يكيل المؤامرات وسيبقى كذلك حتى حين، فعلينا التحلّي باليقظة.

ومادام العدو يجري التغييرات في أساليبه ومخططاته فيجب علينا مضاعفة وعينا وحيطتنا باستمرار.

ولحسن الحظ فإن أبناء شعبنا جميعاً من الشباب وسائر الطبقات يتحلّون بالوعي واليقظة والفطنة، وهذه الحساسية التي يبديها أبناء شعبنا من الأهمية بمكان، وهنالك الكثير من الأمور الدقيقة التي ترصدها عيون جماهيرنا ومسؤولينا.

لقد سبقت منّي الدعوة في مطلع العام 79 [هـ.ش] إلى أبناء الشعب والمسؤولين أن تتركّز جهودهم على بُعدين هما: الوحدة الوطنية، والأمن القومي.

فكان أن بذلت المساعي في مجال الأمن وكذلك الوحدة، حيث أنجزت أعمال قيّمة على امتداد هذا العام.

وإنني إذ أتقدّم بخالص شُكري وتقديري لكل الذين ساهموا في هذه النشاطات، أكرر ما تقدّم من كلام في هذه الأيام الأخيرة من هذا العام، وأؤكّد أنّ العدو إنما يفلح في بلوغ مآربه متى ما استطاع إيجاد شرخ في هيكلية النظام وبين أوساط المسؤولين في مختلف الحقول، وذلك ما يسعى إليه العدو.

كيف يتسنّى له إيجاد هذا الشرخ يا ترى؟ بإمكانه سلوك طريقين:

أحدهما قد يأس منه الأعداء تقريباً، وإن لم أقل بشكل كامل، إذ إنهم لم يستطيعوا تحقيق شيء من خلاله, بالرغم مما قاموا به من مناورات ودسائس، ويتمثّل في التسلّل إلى أركان الحكم؛ إنهم عجزوا ومازالوا عاجزين عن التسلّل إلى المراكز العليا في النظام.

أما الطريق الآخر الذي دأبوا على سلوكه منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة، وأحتفظ بالكثير من الذكريات والنماذج منه منذ فترة رئاستي للجمهورية، فيتمثّل في اهتمامهم بفئة أو شخص من الجهاز الحاكم وامتداحه وإبداء الدعم له والإيحاء بأنهم من حماته، عسى أن يفلحوا من خلال ذلك في إثارة حفيظة الآخرين إزاءه وإذكاء حسن الظن لديه تجاههم؛ أي أنهم يفتحون ثغرة في هيكل الحكم، ولطالما كان ذلك في لائحة اهتمامات وسائل الإعلام المعادية، سواء فيما سبق أو في أيامنا هذه، وجرّبوه مراراً حيث ذاقوا طعم الهزيمة في العديد من المواقف.

وحريّ بي أن أذكر هذا لكم من باب الشكر لله على نعمته هذه؛ فمن أعظم النعم التي منّ بها الباري تعالى علينا هي: أنّ مواجهة الكثير من مسؤولينا للأحداث اتّسمت بالتعقّل والوعي، إذ إنهم أدركوا أنّ الرقّة التي يتغلّف بها منطق الأعداء ما هي إلاّ فخّ منصوب لاصطيادهم، وقد نصبوا شراكهم هذه لرئيسي جمهوريتنا السابق والحالي غير أنهم أخفقوا في مهمتهم؛ فكان أن اتخموا وسائل الإعلام قبل وبعد انتخاب رئيس الجمهورية الحالي بمزاعم دعم الدوائر الغربية له؛ لكنه زرع اليأس في نفوس الأعداء في أول حديث له بعد مباشرته لمسؤوليته، وهكذا شأنه حتى الآن والحمد لله، بَيْدَ أنّ العدو نجح في مهمته في بعض الحالات وأفلح في مؤامراته هذه؛ فبمجرد أن يبرز خلاف حول

قضية ما داخل البلاد فهو يعمل على قمع جهة معيّنة لصالح الجهة المقابلة، فيبادر إلى كيل المديح والإطراء والثناء لطرف في مقابل الطرف الآخر.

سبل إفشال مؤامرات الأعداء

علينا أن نتحلّى باليقظة, ونستجمع قوانا؛ لنعرف ما يعيشه العدو من تصوّرات ومخططات، فهنالك الكثير ممن يدركون هذه المؤامرات، إلاّ أنّ هنالك من لا يدركها وينخدع بها.

لقد وضع الإمام (رضوان الله عليه) قاعدة كلّية لمثل هذه الحالات، ولمست على مدى السنوات الاثنتين والعشرين التي مرّت منذ قيام الجمهورية الإسلامية وحتى يومنا هذا صحة هذا المنهج والمنطق الذي تبنّاه الإمام (ره)، إذ كان الإمام (ره) يقول: متى ما امتدحكم الأعداء فاعلموا أنهم يلتمسون فيكم مطمعاً، فعليكم بمراجعة أنفسكم وإزالة مكمن الطمع[5].

اعلموا أنّ كل ما يدعون إليه أبناء الشعب بشبابه ومختلف طبقاته إنما يلحق الضرر بهم! وهذه كانت نتيجة ما جرّبناه لحد الآن، فعلينا إذاً التحلي باليقظة.

إنّ العدو يمتلك وسائل إعلامية فعّالة للغاية، وإنّ كافة وسائل الإعلام العالمية تقريباً تحتكرها حالياً الدوائر التابعة لكبار الأثرياء في العالم, والذين يهيمنون على الكثير من الحكومات وأغلبهم من الصهاينة أو حلفائهم؛ ولا معنى للعبثية واللاهدفية في نشاطاتهم التبليغية أو عندما يستهدفون أحداً أو يرفعون آخر، أو في ما يطمعون به ويستهدفونه، فلابدّ والحالة هذه من التزام جانب الحيطة والحذر.

ويتمثّل سبيل التصدّي لذلك فيما نقلته عن رئيسي جمهوريتنا السابق والحالي؛ أي على المرء أن يكون كلامه وموقفه وتحرّكه بالنحو الذي يفهم ذلك الذي حفر له البئر بامتداحه إيّاه أنه قد فشل في مهمته ولم يبلغ مرامه، وربما حصل أن بادرت الإذاعات الأجنبية إلى كيل المديح لبعض كبار المسؤولين في البلاد ــ سواء الأشخاص أو الفئات والأحزاب التي تؤيّدهم ــ وأخذت تعبّر عن دعمها وتأييدها لهم، فأشرت عليهم بأن يقوموا بما من شأنه أن لا يوقعهم بالخطأ مع الأعداء؛ أي بيان البون الشاسع الذي

---

[5] صحيفة الإمام: ج9، ص405. تاريخ الخطاب: 23 شهريور 1358 هـ ش/ 22 شوال 1399 هـ ق.

يفصلهم عنهم بصراحة، فإن جرى ذلك فلن يصل الأعداء إلى مرامهم وستحبط مؤامراتهم، وليتحدّثوا حينها بما بدا لهم.

فعندما يبرز اختلاف في وجهات النظر بين تيارين أو فئتين حول قضية ما في بلدنا ــ وبطبيعة الحال فإن الاختلاف في الرؤى والأذواق يعد أمراً طبيعياً لا غبار عليه ــ فإنهم يعبّرون عن دعمهم لأحد هذين الطرفين فيما ينكّلون بالآخر! فالطريق الأنجع لإحباط مؤامراتهم يتمثّل في إعلان الطرف الذي أعلنوا دعمهم له براءته منهم بشكل صريح، وفي مثل هذه الحالة لن يصل العدو إلى مبتغاه في إيجاد شرخ في الجهاز الحاكم، وإلاّ فإن آمال العدو ستتضاعف في الوصول إلى مقصده.

اعلموا يا أعزائي، لو أنّ فجوة حصلت في الجهاز الحاكم فلن يشمل التطوّر أي عمل من الأعمال، فأيّما جماعة انبرت للقيام بعمل ما سارعت فئة أخرى للتشكيك به وحالت دون تقدّمه، وهذا ما لمستم عيّنات منه في حالات عديدة، حيث يبادر أحد الأجهزة لعمل إيجابي مفيد، ولكن سرعان ما تنبري مجموعة أخرى للوقوف بوجهه نقداً وتجريحاً, وهو لم تتضح معالمه بعد! ففي مثل هذا الواقع لا يرتجى تطوّر لأي عمل من الأعمال، وهذه هي العواقب الوخيمة التي تخلّفها حالة التفرقة في المراكز الحساسة من الجهاز الحاكم، وإلا فلا إشكال في الاختلاف على الصعيد الفكري، بل الإشكال في الفرقة والتخاصم والندّية التي تصبّ في مصلحة العدو.

إنني أعتب من بعض المواقف التي تصدر عن بعض المسؤولين، سواء في السلطة التشريعية أو غيرها، ينبغي أن لا تكون المواقف بالنحو الذي يرى فيها العدو أنها تصبّ في صالحه، وعلينا أن نفسح المجال أمام أجهزة البلد ــ سواء السلطة التنفيذية أو القضائية أو التشريعية ــ أن تنجز مهامها باقتدار وإقدام وثقة عالية بالنفس.

إنّ احتدام الصراع في المواقع العليا في الحكومة هو ذاك الذي يصبو إليه العدو ويركّز عليه بجدّية، وكما قلت لكم فيما تقدّم، فإن أفلحوا في إقحام أحدهم في الجهاز الحاكم فيها ــ وهذا ما لم ينجحوا به لحد الآن والحمد لله ولن يفلحوا في المستقبل أيضاً بإذنه تعالى ــ وإلاّ فإن لديهم سبيلاً آخر يتمثّل في تقرّبهم من البعض, وتشديد الصراع لصالح فئة على حساب أخرى؛ وهذه الطريقة بالذات هي إحدى السياسات السافرة التي انتهجت ضد الثورة خلال السنوات القليلة الأخيرة، وهذا هو هدفهم من كل ما يصرّحون

به أو ما يصدر عنهم من مواقف، وهذه هي غايتهم من مبادرتهم في تأسيس المحطات الإذاعية المناهضة لنا.

وفي الداخل فإن أذناب المعادين للثورة ومرتزقة الدوائر الجاسوسية الأجنبية ــ ولا يخلو الجو منهم أبداً ــ يتخذون نفس تلك المواقف ويرددون ذات التصريحات ويستهدفون الهدف نفسه، ولا تقتصر محاولاتهم في إيجاد الثغرة على صعيد الأجهزة العليا للنظام، بل كانوا يرومون إلى إيجاد شرخ في الحوزة العلمية أيضاً؛ فقد حاولوا إثارة الاختلافات بين كبار المراجع والعلماء ممن لهم باع في أوساط الحوزة العلمية، ولحسن الحظ لم يفلحوا، على أمل أن يعجزوا عن تحقيق ذلك في كل المجالات.

إنني وفي آخر جمعة من العام الموسوم بعام أمير المؤمنين (ع) أوصي باسمه العظيم نفسي بالدرجة الأولى؛ لأنني أحتاج أكثر من غيري للتقوى، ثم أدعو المسؤولين وكافة أبناء الشعب، وأدعوكم أيها المصلّون الأعزاء لالتزام التقوى ــ وهي ما وصّى به أمير المؤمنين (ع) ــ بما تحمل من معنى المراقبة الحذرة لأقوالنا وأفعالنا وحركاتنا لئلاّ يراود العدو شعور بالأمل في إمكانية إيجاد ثغرة في هيكلية الحكم، وبذلك يحول دون تحقق التطور في المجالات البنّاءة.

أسأل الله سبحانه أن يجعل من هذا العام الذي ازدان باسم أمير المؤمنين (ع) ذخراً لشعبنا، ويجعل من العام القادم عاماً يحقق فيه شعبنا نجاحاته الكبرى بعونه تعالى، وهنالك أمور تتعلّق بالعام القادم والانتخابات التي ستجري في مطلعه سأتطرّق إليها في حينها.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنّا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر}

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته